فلسفة البقاء والفناء عند الشاعر الأندلسي من سقوط الخلافة حتى سقوط غرناطة (٤٢١- ٨٩٧ هـ) القوة والضعف أنموذجًا

م.م. حسين عبد الرحمن هلال
جامعة الأنبار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. م. د. محمود شاكر ساجت
جامعة الأنبار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ed.mahmoud.shaker@uoanbar.edu.iq

الملخّص :

يتناول البحث (القوّة والضعف) كمظهر من مظاهر (البقاء والفناء) عند الشاعر الأندلسي، إذ حاول الشعراء الأندلسيون ـ من خلال أشعارهم ـ التعبير عن الأحداث التي مروا بها، فزادت قوّتهم، أو أضعفتهم، فالشاعر عندما يكون في مجتمع تسود فيه الرفاهية، والأمان، وانتشار وسائل اللهو، وكثرة الأموال، والجاه والسلطان، والانتصارات في المعارك، فضلًا عن قوّة الجسد والصحة والشباب، فهذه تجعله يتمتع بالقوّة، ولكن هناك أمورًا كثيرة تعرّض لها الشاعر جعلته يشعر بالضعف وفقد قوّته، منها: فقد المال، وفقد الأحباب، وفقد الديار والعيش في الغربة، والهزيمة في المعارك، وكذلك انتشار الجوع والفقر، وأيضًا فقد شبابه وقوّة جسده، وشعوره باقتراب الأجل.

الكلمات المفتاحية : فلسفة ، البقاء ، الفناء ، الأندلسي ، القوة الضعف.

Abstract:

This research disccused (the strength and weakness) as one of manifestations of survival and death at the Andalusian poet. Andalusian poets tried, through their poetry, to express the events that they experienced which increased their strength or weakened them. When the poet is in a society where the welfare, safety, spreading of entertainment, the abundance of funds, the power and king, victories in the battles, as well as the strength of the body and health and youth. These factors made them enjoying power, however, there were many things that the poet has exposed, which made him feel weak and lost his power such as, lost money, lost loved ones, lost his home, lived in exile, lost in battle, spreading a hunger and poverty and lost his youth and strength.

لا يمكن للإنسان أن يستغني عن التفكير الفلسفي، فطبيعة العقل هي محاولته التعرف على الكون، وحقيقة البقاء والفناء فيه، يقول كارل يسبرس: (لا فرار من الفلسفة، وسواء كانت هذه الفلسفة شعورية أو لا شعورية، واضحة أو مبهمة، فإنها لا تخرج عن كونها فلسفة)[١] .

وأصل كلمة فلسفة هو اختصارٌ لكلمتَين يونانيّتين، هما :فيلو، وتعني: حُب، وسوفيا: تعني الحِكمة؛ أي إنّ معنى الفلسفة هو حُبّ الحِكمة، وينسب بعض المؤرّخين هذا الاصطلاح إلى فيثاغورس، الذي أطلق على نفسه لقب فيلسوف، وأرجعهُ البعض إلى سقراط الذي وصف نفسه بالفيلسوف؛ رغبةً منهُ في تمييز نفسه عن السّوفسطائيين الذين يدّعون الحِكمة، ويرى آخرون أنّ مُصطلح فلسفة يعودُ إلى أفلاطون، حيث استخدمها في وصف سولون وسُقراط[٢].

البقاء: بقي: فِي أَسماء اللَّهِ الْحُسْنَى البَاقِي: هُوَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي تَقْدِيرُ وجوده فِي الِاسْتِقْبَالِ إِلَى آخِرَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَيُعبر عَنْهُ بِأَنه أَبدِيّ الْوُجُود. والبَقَاء: ضِدُّ الفَناء، بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى بَقَاءً وبَقِيَ بَقْياً[٣].

أما الفناء: فهو نقيض البقاء ... وفَنِيَ يَفْنَى فَناء: هَرِمَ وأَشرف عَلَى الْمَوْتِ هَرَما، وتَفَانَى القومُ قَتْلًا: أَفنى بَعْضُهُمْ بَعْضًا في الحرب ...ويُقال: إِذا أَخطأَه الْمَوْتُ فإِنه يَفْنَى أَي يَهْرَمُ فَيَمُوتُ، وَيُقَالُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ: فانٍ[٤]. فعندما يتحدى الإنسان المصاعب والمحن والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية التي تمرُّ به، ويصرُّ على ثباته وعزيمته، فهذا دليل على قوّته.

فالقوّةُ: نقيض الضعف، والجمع، قُوى و قِوى[٥] . وأكثر ما تجتمع قوّة الإنسان، عندما يكون بدنه سليماً، وعقله كاملاً، يقول عزّ وجل:(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) [٦] أي يكون ذلك في الكتاب والعقل[٧]. أما خضوع الإنسان، واستسلامه، وانهزامه، وعدم قدرته على مواجهة الظروف المحيطة به، فهو دليل على ضعفه. والضَّعفُ والضُّعفُ: خلاف القوّة، وقيل: الضُّعفُ بالضم في الجسد، والضَّعفُ بالفتح في الرأي والعقل، وقيل: هما معاً جائزان في كلّ وجه، وهما عند أهل البصرة سيّان يستعملان معاً في ضعف البدن، وضعف الرأي[٨].

والشاعر إنسان مرهف يتأثر فيعبّر ويحس فيعكس إحساسه بألفاظ موسقة وجمل موقعة تشحن بخلجات وجدانه، واهتزازات عواطفه وانفعالات ذاته، والشعر العربي في معظمه شعر وجداني، يرسم بالكلمات أعماق الإنسان العربي بكل مخزوناتها وتجاربها خلال معاناته الفردية والجماعية الطويلة مع الزمن والحياة والمجتمع، وبكل ما فيها من أفراح وأحزان، من غبطة وألم، من غنى وفقر، من استقرار وضياع، من حب وكره... إلى ما هناك من تناقضات يعيشها كل إنسان، فيسقط بعضها في ذاته ليتكثف بعد ذلك، ويأخذ شكلاً فنياً عند الموهوبين، بالتعبير عنه شعراً أو رسماً أو موسيقى[٩].

فالشاعر عندما يكون في مجتمع تسود فيه الرفاهية والأمان، وانتشار وسائل اللهو، فضلا عمّا إذا كان صاحب ملك وسلطان وجاه، مع التمتّع بقوّة جسده وصحته، نجده يتمتّع بالقوة، ولربما تأتيه القوة من خلال الانتصارات في المعركة. ولكنّ هنالك أمورًا كثيرة يتعرّض لها، تجعله يشعر بالضعف، فمنها: فقد المال، أو فقد الأحباب، أو فقد الديار والغربة والفراق والبعد عن الوطن، والهزيمة في المعارك، وكذلك منها انتشار الجوع والفقر، وكذلك فقد الشباب الضائع والعمر الآفل.

فالشاعر الأندلسي لا يشعر بالضعف إلّا من خلال ذهاب شبابه، واقتراب الموت منه، وظهور الشيب عليه، أما في شبابه فهو يتمتّع بالقوّة والثقة العالية بالنفس، فيصف المحبوبة والخمرة ومجالس اللهو والغناء والترف، ولا يتذكّر أبداً ما سيضعفه من نهاية الحياة، والشيخوخة، وغيرها.

فالشاعر غانم بن الوليد القرشي المالقي، أبو محمد (ت: ٤٧٠هـ) ؛ لأنه لازال في قوّته وشبابه، نجده يستمتع بسهر الليالي ولهوها وكؤوسها، يقول(١٠): (من البسيط)

وليلةٍ نسختْ عندي محاسنها ... دنوب دهرٍ يشوب الصّفوَ بالكَدَرِ(١١)
بتنا وباتتْ نجومُ الليلِ طالعةً ... فينا فلـمْ تُبْـقِ من هـمٍّ ولمْ تذَرِ
ونحن في روضةٍ للّهو يانعةٌ ... كؤوسـنا اللهو فينا موضعَ الزهرِ

إنّ قوة الشاعر تنبع من الليل الذي تلمع فيه النجوم، والذي أزاح كلّ همومه؛ ليفرغ فقط للهو .

وقد كان الأعمى التطيلي في شبابه يتمتّع بقوّةٍ جعلته متمسّكاً بالحياة، يذكر الخمرة، ويتغزّل بمحبوبته ويبالغ في وصفها، إذ وصفها بأنّ الله قد برا جسمها من ماء اللؤلؤ، لا من الطين كباقي النساء(١٢):

(من البسيط)

أَريقُ ثَغْرِكِ أمْ بنـتُ الزَّراجين ... وَعَـرْفُ نَشْـرِكِ أم مِسـْكٌ بدارينِ(١٣)
ولحظُكِ الغَنجُ السحّارُ أم قَدَرٌ ... أم ذو الفَقَارِ مَضَى في يومِ صفين(١٤)
وثغرُكِ الشَّنِبُ الوضّـاحُ أم بَرَدٌ ... أم بـارقٌ من رِضَـاكِ اليوم يثنيني(١٥)
....
جسمٌ براهُ الإلـــه حينَ صوَّرَه ... منْ مـاءِ لؤلـــؤة والناس من طين

فهو قد رسم صورة جسمية لمحبوبته نابعة عن قوّته وثقته بنفسه، فهو قد صوّر خدّها ولحظها وثغرها، حتى أنه جعلها نادرة ليست من جنس البشر . وقد تحلّى الشاعر بالقوة من خلال استعماله للألفاظ التي توحي بالتمسّك بالقوّة ومواجهة الضعف، فالزرجون، والغنجة، والشّنَب، مع هذه المبالغة التي جعلتْ جسم المحبوبة من لؤلؤ، كلّها دلّت على تمسّك الشاعر بالقوة . كذلك ابن حمديس تنبع قوّته من التغزّل بالفتيان والعذارى ووصف الخمور، فما دام الشيب لم يغزُ رأسه، فهو لازال قوياً(١٦):

(من الرمل)

حَبَّذا فِتيانُ صدْقٍ أَعــــرسوا بعذارى من سُلافاتِ الخُمــورْ
عَرْبَدَ الصحوُ عليــــهمْ بالأسَـى فاتَّقاه السُّكْرُ عَنــهم بِالسُّـرور
عَمَرُوا ربعَ الصِّبَا من قــــبلِ أنْ يَتَمَــشّى فيه بالشَّيــــب دُثُور

إن مشاعر الإنسان تتقلّب بين قوّتها وضعفها، ومن الطبيعي أن يضعف سلوك الإنسان في مشيبه، فما دام ابن حمديس في مرحلة الشباب، حيث الطيش واللهو، أراد استغلال الفرصة قبل انتشار الشيب في رأسه، فوصف لنا قوّته من خلال إكثاره الأفعال في أبياته؛ لتعطي قوة حركية يعبّر من خلالها عن قوّته، فجاء بالفعل (حبّ) ؛ ليدلّ على مدحه لمرحلة الصبا التي تكمن فيها قوّته وسط العذارى والخمور، وهكذا في بقية الأفعال (عربد ـ اتقاه ـ عمروا ـ يتمشى) والتي أراد من خلالها إظهار قوته، وتجنّب ضعفه، مستغلاً شبابه . وهذا ابن خفاجة الذي كان كثير الضعف والهزيمة في شيخوخته، نجده في شبابه متحدّيا للقيم الاجتماعية والدينية ورافضاً لها، فقد جعل المحبوبة كل قيمه الدينية (دينه ـ كعبته ـ قرآنه) بل ورؤيتها عنده حج لبيت الله[١٧]: (من الطويل)

مَحَبَّتُهُ ديني وَمَثواهُ كَعبَتي وَرُؤيَتُهُ حَجّي وَذِكراهُ قُرآني

ونجد صفوان بن ادريس التجيبي (ت، ٥٩٨ هـ) يستغلُّ قوّته وغفلة الزمن، حين زار حبيبته، فوصف شعشعة الخمر، وكلمات الغزل، وكيف أنه ضمّها بقوة كما يضمُّ البخيل ماله، يقول[١٨]: (من الكامل)

غَفَلَ الزَّمَانُ فَنِلتُ مِنهُ نَظرَةً يَا لَيتَهُ لَو دَامَ فِي غَفَـلاتِهِ

....

بِتنَا نُشَعشِـعُ وَالعَفَافُ نَدِيمُنَا خَمـرَينِ مِن غَزَلِي وَمِن كَلِمَاتِهِ
فَضَمَمتُهُ ضَمَّ البَخِيلِ لِمَالِهِ أَحنُو عَلَيهِ مِن جَمِيــــع جِهَاتِهِ

في الأبيات صور شعرية رائعة عبّر لنا فيها الشاعر عن قوّته واستغلالها قبل ضعفه، فغفلة الإنسان يستغلها الآخرون، أمّا التجيبي فقد استغلّ غفلة الزمان؛ ليقوى على التمتّع مع محبوبته، موضّحاً لنا هذه القوة من خلال الصورة التشبيهية الأخرى التي رسمها، وهي تشبيه ضمّه لمحبوبته بضم البخيل لماله، إذ تكمن قوّة البخيل في حرصه على ماله. ومع ذلك فإنه أراد من ذلك كله استغلال فترة قوّته وشبابه قبل أن يضعف، وذلك واضح من خلال قوله: (يا ليته لو دام في غفلاته) إذن هو على يقين بأن الزمان لم تدمْ غفلته؛ لذا فلا يدوم شبابه. ولعلّ كثرة الحروب أعادت قوّة الشعراء في وصفهم الانتصارات (فقد شكّل شعر وصف الانتصارات والمعارك عند المسلمين محوراً بارزاً في الشعر السياسي؛ بسبب كثرة المعارك بين المسلمين والنصارى، الذين سعوا منذ البداية إلى استعادة بلاد أجدادهم من أيدي المسلمين،

فأعدوا لهم ما استطاعوا من القوّة التي تدعمها أوربا المسيحية، وجاءت حروب الاسترداد منظمة تنظيما دقيقاً، يستغلّون فيها ضعف السلاطين حينا، واشتداد اليأس عند الشعب حينا آخر. مما أدى الى خوض المسلمين حروبا طاحنة في سبيل الدفاع عن وطنهم ووجودهم)[١٩]. فقد برزت فلسفة ابن زيدون في القوّة واضحة من خلال النصر في المعركة، إذ شبّه النصر بمقاتلٍ يأتي مسرعاً بعد أن يدعوَ المعتضد ربه، فيقول هذا المقاتل: لبيك، وهذا يدل دلالة واضحة على يقينه بالنصر، وإنما نبع هذا اليقين من القوّة، والثقة العالية بهمم المسلمين، يقول[٢٠]: (من الطويل)

دَعَوتَ فَقالَ النَصرُ لَبَّيكَ ماثِلاً وَلَم تَكُ كَالداعي يُجاوِبُهُ الصَدى

ويصف ابن بقي الأندلسي (ت: ٥٤٠هـ) ضعف العدو أمام قوّة الملك وجيشه، الذي كان كالنار التي تحرق كلّ ما تجد[٢١]: (من البسيط)

يسبيهم الجيش ما امتدت أعنتــــه كالنار توسع حرقا كل ما تـجد

أما أبو العباس الجراوي، فيقول[٢٢] : (من البسيط)

عدوكُم بخطوبِ الدهرِ مقصودُ وأمركُم باتصالِ النصرِ مَـــــوعُودُ

إن ملامح القوّة، وحتمية النصر واضحة عند الجراوي؛ وذلك من خلال استعماله لاسم المفعول (مقصود ـ موعود) فالقصد كان العدو ودحره، والوعد كان النصر للمسلمين. وقد كان ابن الخطيب متيقّنا من النصر، وقد شجّعته قوّته على إظهاره وتوكيده، فشبهه بالصبح في ظهوره، والصبح لا بد أن يظهر، وقد أراد بذلك أن النصر لا بد أن يتحقق، يقول[٢٣]:(من الطويل)

هوَ النّصرُ بادٍ للعُيونِ صَباحُهُ فَما عُذْرُ صَدْرٍ لَيْسَ يَبْدو انْشِراحُهُ

ويشيد ابن زمرك بقوّة المقاتل الأندلسي وشجاعته أثناء المعارك والبطولات التي يقوم بها أثناء القتال، يقول[٢٤]: (من الكامل)

يا آلَ نصْرٍ أنتمُ سُرُجُ الهدى في كلّ خطبٍ قد تجـهَّمَ مُظْـــلِمِ
الفاتحونَ لكلّ صـــعبٍ مُقفلٍ والفارجون لكلّ خـطبٍ مُبْـــهِمِ
والباسمون إذا الكماةُ عوابسٌ والمُقْدِمون على السّوادِ الأعظمِ
أبناءُ أنصارِ النَّبيّ وحـــزبِه وذوي السوابقِ والجِوار الأعْصَمِ

لقد عمد الشاعر إلى استعمال (اسم الفاعل) بكثرة، لاسيما في البيتين الثاني والثالث؛ وذلك ليبيّن مدى قوّة آل نصر وشجاعتهم، فقد وصفهم بالفاتحين، والفارجين، والباسمين، والمقدمين، وهذا يدل دلالة واضحة على من حسم النصر، وليس على من سيحسمه، فهو قد بيّن أن الفتح على أيديهم واقع لا

محال، ولذلك قال: الفاتحون. ثم يزيد من عزمهم وشجاعتهم من خلال رسم صورة تشبيهية منبعثة من الجانب الديني، وهي تشبيهه لهم ولانتصاراتهم ولفتوحاتهم بجيوش المسلمين في بدر وأُحد.

ويبدو أنّ الشاعر الأندلسي قد شغلته الدنيا، ونسيَ ما سيأتيه من شيخوخةٍ بعد الشباب، وفقرٍ بعد الغنى، وسجنٍ بعد الحرية، وفقدٍ للأحباب بعد الاجتماع بهم، وغربةٍ عن الوطن بعد العيش الجميل الهانئ به؛ لذا فبعد أن تعرّض لهذه الأمور، وجدْناه خاضعاً شاكياً باكياً راثياً خائفاً من كلّ ما أصابه، وبالتالي ومن ثم فقد شعر بالضعف الشديد، وذلك كلّه واضح في أشعاره .

فهذا المعتمد بن عباد، الشاعر السياسي البارز (ملك اشبيلية) كان ذا قوّة وعزيمة، يتعرّض في نهاية حياته لنكباتٍ ومحنٍ، جعلته يشعر بالضعف، بعد أن كان قوياً، فقد سقطت دولته على أيدي المرابطين عام ٤٨٤ه بعد حربٍ وصراعات، وقد صوّر لنا في بادئ الأمر قوّته وشجاعته، مدافعاً عن نفسه وملكه، بإباءٍ منقطع النظير، قائلاً[٢٥]: (من مجزوء الكامل)

وَبَرَزتُ لَيسَ سِوى القَميـ ... ـصِ عَـــن الحَشى شـــيءٌ دفوعُ
وَبَذَلتُ نَفسي كَي تَســـيـ ... ـلَ إِذا يَســـــيل بِـــها النَـجيعُ
أَجَلي تَأَخَّـرَ لَـــم يَكُـــن ... بِهَـــوايَ ذُلّـــــيَ وَالخُشـوعُ
ما سِرتُ قَطُّ إِلى القِـــتا ... لِ وَكـــــان مِـــن أَمَلي الرُجوعُ
شِيَمُ الأُلى أَنا مِنـــــهُم ... وَالأَصلُ تَتبَعُـــه الفُـــــروعُ

وربما هذه القوة والاستماتة لم تجد نفعاً، فقد وقع المعتمد وآل بيته بيد المرابطين، فكان ذلك بداية ضعفه أمام سلسلة من المحن والآلام النفسية؛ بسبب الأسر والذل والهوان والنفي، ثم العذاب والموت . فالمعتمد كان يعيش حياة مترفة، وقد أغرته الدنيا، وسيطرت عليه فتنة القصور والبرك والقيان والخمور وغيرها، حتى أنه قلّ شعره في الموت، إلا إنه عندما مال به الحال وضعف؛ بسبب فقده لملكه، وبعد أن عاش أسيرا في سجن (أغمات) في المغرب، وقارب أجله، نجده يقول[٢٦]: (من البسيط)

نَعَم هُوَ الحَقُّ وَافـــانِي بِـــهِ قَدَرٌ ... مِنَ السَمـاءِ فَوافاني لِميعادِ
وَلَم أَكُن قَبلَ ذاكَ النَعشِ أَعلَمُهُ ... أَنَّ الجِبال تَهادى فَوقَ أَعوادِ

ففواجع الدهر ومصيباته هي التي أضعفت المعتمد بن عباد، وكذلك نجدها تضعف ابن خفاجة الذي أخذ يشكو ويتحسّر، فكلّما زاد العمر نقص وشعر بالضعف والرجفة التي تأتيه بسبب الحمى، وقد تعتريه عبرةٌ يريد من خلالها محو ما جنى[٢٧]: (من الطويل)

أَلا إِنَّها سِنٌّ تَزيدُ فَأَنقُـــصُ ... وَنفضَةُ حُمّى تَعتَريني فَأَرقُصُ
فَها أَنا أَمحو ماجَنيتُ بِعَبرَتي ... وَأَنظُرُ في ماقَد عَمِلتُ أُمَحِّصُ

كذلك يأتي ضعف الإنسان من التقدّم، والذي يُنذر به الشيب. فكم كان الإلبيري قويا في شبابه، ينتكس الآن بعد غزو الشيب لرأسه(٢٨): (من الوافر)

وَكُنتَ مَعَ الصِبا أَهدى سَبيلاً فَما لَكَ بَعدَ شَيبِكَ قَد نُكِستا

إن انتكاسة الإنسان تأتي بسبب المرض، إلّا أن الإلبيري هنا يبتكر صورة جديدة، وهي أن الشيب الذي أتاه مستهدفا شبابه هو الذي نكسه، وقد أحسن الشاعر في رسم هذه الصورة، فقد ضعفت قوّته التي كان يمتلكها في شبابه، بسبب قدوم الشيب عليه. ويتبدّل نشاطه ثقالا، ونظارته شحوباً، أدى به إلى الشعور بالضيق، بسبب هذا الشيب الذي استهدف شبابه وجماله ورونقه، يقول(٢٩): (من الوافر)

وَبَدَّلتُ التَثاقُلَ مِن نَشاطي وَمِن حُسنِ النَضارَةِ بِالشُحوبِ

ويبدو أن الإلبيري قد شعر بالضعف، فهو قد اشتاق إلى الصبا، ونشاطه الذي كان يمتلكُهُ، لكن هناك من يردعه ويمنعه، ألا وهو الشيب الذي أثقله، وجعله يشعر أن عهده قد انقضى.

إن الأندلسيين يعدّون الشيب أول الموت، فيشعرون بالضعف الشديد حين يغزو رأسهم، فهذا ابن السيّد البطَلْيوسي (ت: ٥٢١ه) يذكّره نسيم الريح بصباه الذي زال بعد قدوم الشيب، والذي أتاه كنذير للموت، حتى جعله ضعيفاً حزيناً(٣٠): (من الطويل)

أ بعدَ نذير الشيب إذ حلَّ عارضي صَبَوتُ بأحداق المها وسُبيتُ؟!
ولي سَكَنٌ أغرى بيَ الحزنَ حسنُه جريءٌ على قتل المحبِّ مُقيتُ
فيا قمراً أغرى بيَ النقصَ واكتسى كمالاً ووافي سعدَهُ وشَقيتُ
وَلِيتِ فَرِقّي إذ وليتِ لهائمٍ سباهُ لَمىً كالشهد منكِ وليتُ
وجودي ببردِ الوصلِ يا جنَّةَ المُنى فأنّي بحَرِّ الوجدِ منكِ صَليتُ

إن الشاعر قد استعمل أفعالاً ماضية تدل على سيطرة واجتياح الشيب لرأسه رغماً عنه، فالأفعال (سُبيتُ ـ وُليتُ ـ صليتُ ـ شقيتُ) كلّها تدلُّ على الاجتياح بقوةٍ قابلها ضعفٌ شديدٌ أنساه أيام الصبا، لذا فهو يشدّنا أن نصغيَ إليه وهو يعاتب نسيم الريح الذي ذكّره بماضٍ جميل قد نسيَهُ بعد أن أنذره الشيب، وأضعفه . ويصاحب التقدّم بالعمر والشيب عادة الضعف وانحناء الظهر وتقوّسه إلى درجة أنه يكون كنصف دائرة، أو كالقوس بلا وتر، حين يمشي على الأرض، يقول أبو الحسن، علي بن أحمد الأميني الشريشي (ت: ٥٨٣ه) مصوّراً ذلك(٣١): (من البسيط)

لمّا تقوّس منّي الجسمُ عن كِبَرٍ وابيَضَّ ما كَانَ مُسوَدّاً مِن الشَّعَرِ
جعلتُ أمشي كأنّي نصفُ دائرةٍ تمشي على الأَرضِ أو قوسٌ بلا وَتَرِ

إنّ الصورة التي رسمها الشاعر قائمة على اللونينِ الأسود والأبيض، فسواد الشعر رمزٌ للنشاط، لكن بياضه تعبٌ، ومرضٌ، وضعفٌ. فحال الشاعر قد تبدّلت، وظهره تقوّس، وسار كلُّ جسده نحو الشيخوخة والفناء، بعد أن ابيضّ شعره .

وكم هي غزيرةٌ دموع ابن الحاج البلّفيقي على شبابه الماضي، وكم هو ضعيفٌ أمام إقبال الشيب عليه، لدرجة أنه شبّهه بالكفن ببياضه(٣٢): (من الطويل)

ألا ساعدوني في البكاء فأدمعي غزارٌ ولكن ما قضت حق أشجاني

بدأ الشاعر أبياته بأداة الاستفتاح والتنبيه (أَلَا) ؛ ليجذبنا إليه بشدة نحو حزنه الشديد، وخوفه مما هو آت، فهو يحفّزنا للإنتباه إلى أنّ شبابه الماضي، وشيبه المقبل، قد أفقدَهُ قوّته، وفناه قبل موته، بدليل أنه شبّه الشيب بالكفن، ولعلّ الشاعر قصد من هذا التشبيه أنه عبارة عن جسد ميّتٍ ما دام في الرأس شيبٌ، وهذا ما جعل دمعه غزيرٌ، وحزنه شديد .

ويأتي ضعف الإنسان خوفا من الموت، ولا سيّما عندما يشعر بقرب الأجل، فالقوة التي كان يمتلكها الإلبيري، والتي جعلته يُكثر من ذنوبه حتى جعلها كغيوم السماء في كثرتها، بل وأن قلبه عمِيَ ولم يهتدِ، الآن يشعر بالضعف، ويبكي دماً، ندما على تلك الذنوب، يقول(٣٣): (من السريع)

أَيُّ خَطـــيئاتـــي أَبكي دَمـا وَهِيَ كَثيرٌ كَنُجومِ السَـما
قَد طَمَسَت عَقلي فَما أَهتَدي وَأَورَثَت عَيـــنَ فُؤادي العَمى
إِنّا إِلـــى اللَهِ! لَـــقَد حَلَّ بي خَطبٌ غَدا صُبحي بِهِ مُظلِما

وإن أماني غانم بن الوليد كلّها رحلت، بعد أن طُويَ عمرُه، واقتربَ أجله، يقول(٣٤): (من السريع)

هو العمرُ يُطوى والأماني رَواحِلُ هو العيشُ يَفنى والليالي مراحلُ
إذا كانت الآمـــالُ تُدعى قواتلا على الحكم فالآجال منّا مقـاتل

إنه الضعف الذي جعله يشعر بفناء عيشه، ورحيل أمانيه، وشعوره بتعاسة دائمة، فآماله تحطّمت؛ لأنه أصبح يفكّر بالموت والمصير المحتوم.

فالموت عندما يأتي لا تنفع الإنسانَ الأدواءُ؛ لأنه لا رادّ لحكم الموت، هكذا أراد الله، يقول ابن خفاجة(٣٥): (من الكامل)

أَلوى بِهِم وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعٌ داءٌ عَياءٌ عَزَّ كُلَّ دَواءِ

يبدو أن ضعف ابن خفاجة جعل فلسفته مستمدة من واقعه الذي هو عليه، فهو لم يحاول أن يداوي نفسه كما يفعل كل مريض، بل سلّم نفسه للقضاء ينتظر أجله أن يأتيه.

وما فعله التقدّم بالعمر بابن زهر الحفيد (ت: ٥٩٥ ه) ليس بقليل، فقد صُدم عندما نظر الى وجهه في المرآة، فبعد فتوّ الشباب يرى شيخا كبيراً لا يعرفه، وبعد أن كانت الغواني يقلْنَ له (يا أخي) أصبحن اليوم يقلْنَ (يا أبتا) ومع ذلك، فهو يهوّن على نفسه بأن هذا هو حال الناس، فلا بقاء لأحد على الأرض، حتى العشب، فإنه يفنى بعد الإنبات؛ لذا فإن كل هذا التغيّر الذي شعر به، والضعف الذي أصابه، إنما جاءه من التقدّم بالعمر، وقرب الأجل(٣٦): (من البسيط)

إِنّي نَظَرتُ إِلـى المِرآةِ إِذ جلـيت ... فَأَنـكَرَت مُقلَتـايَ كُـلَّ مـا رَأَتا
رَأَيتُ فيها شُيَيخاً لَسـتُ أَعـرِفُهُ ... وَكُنتُ أَعرِفُ فيها قَبلَ ذاكَ فَتى
فَقُلتُ أَينَ الَّـذي مَثواهُ كانَ هُنا ... مَتى تَرحَلُ عَن هذا المَكانِ مَتى
فَاستَجهَلَتني وَقالَت لي وَما نَطَقَت ... قَد كانَ ذاكَ وَهذا بَعـد ذاكَ أَتى
هَوِّن عَلَيكَ فَـهذا لا بَقـاءَ لَهُ ... أَما تَرى العُشبَ يَفني بَعدَما نَبَتا
كانَ الغَواني يَقُـلنَ يا أَخـي فَقَد ... صـارَ الغَواني يَقُلنَ اليَومَ يا أَبَتا

وابن الحاج البلفيقي كان شديد الضعف، حتى اشتدَّ أسفه وبكاؤه لمفارقة الحياة، فهو مريض غير أنه لا يشعر بمرضه؛ لتفكيره الشديد بالموت؛ لذا أخذت نفسه يتضاعف مرضها(٣٧): (من الطويل)

سقيمٌ ولكن لا يُحِـسُّ بدائِـهِ ... سوى مَن له في مأزِقِ الموتِ موقفُ
وجاذبَ قلباً ليس يأوي لمألـفٍ ... وعالجَ نفسـاً داؤها يتضـاعفُ

ولا زلنا نجد ضعف الشاعر الأندلسي كبيراً أمام الموت، إلّا أن ضعفه الآن يصيبه ليس خوفاً من الموت، بل لأنه أخذ عزيزاً عليه، فانكسر فؤاده حزناً. فأسباب الموت متعدّدة، ولكن الموت واحد، وبغض النظر عن الأسباب، يأخذ الموتُ كلَّ عزيزٍ، فهذا غانم بن الوليد القرشي يصرّ على ضعفه، بل ويطلب من دمعه النزول حتى وإن منعه الصبر، فلا سلوة بعد موت شقيقيْه، واحد بسبب الفقر، والآخر غرقاً، بل وأننا نجده من شدة ضعفه لا يخاف مراقبة الأعداء والحسّاد، بل يستمرّ ببكائه، فيقول(٣٨): (من السريع)

يا دمعُ لا تخذل وكن مُسعِدا ... لا تخشَ من صبريَ أن يمنعكْ
أخٌ غريـقٌ وأخٌ في الثّـرى ... وترتجي السّلوةَ ما أطمعـكْ!
إنّ جمودَ العينِ خوف العِـدا ... ورقبة الحُسّـاد لـم ينفـعكْ
يا عُمراً أعمرتَ قلـبي أسىً ... ودّعَ صبري مثلـما ودّعـكْ

إن سبب ضعف الشاعر وتعاظم حزنه قد اعترف به بكلمات ملؤها الحزن والأسى على فقده لأخويْهِ، ولعلّ في تكراره لأداة النهي (لا) في بيته الأول تصريحاً بضعفه واستسلامه، فهو لا يريد الصبر على

فراقهم، بل يريد أن يكون مهزوماً ضعيفاً أمام ما حل به، وفي تصويره للدمع بأنه رمز للسعادة ما يبيّن ذلك، فكيف يكون عيشه في سعادة وسلوة وأخويْه تحت التراب!

وكذلك ابن اللبانة ندب محبوبه، لدرجة أنه لم يبقَ له دمعاً يبكي به عليه، ولا دما، يقول(٣٩):

(من الطويل)

ندبتك حتى لم يُخَلِّ لِيَ الأسى دموعاً بها أبكي عليك ولا دما

وما بين البكاء واللوعة، يظهر ضعف الأعمى التطيلي وتوجّعه لفقد زوجه (آمنة) فهو يستفهم بحيرة عمّا يفعله جمالها تحت التراب، وقصيدته هذه طويلة وصف بها ضعفه وفقده الصبر؛ لعدم تحمّله فراقها، يقول فيها(٤٠): (من الطويل)

ونبئتُ ذاك الوجهَ غَيّرَهُ البِلى على قُرْبِ عَهْدٍ بالطّلاقة والبِشْرِ
بكيتُ عليه بالدُّموعِ ولو أبَتْ بكيتُ عليه بالتجلُّدِ والصبر
أمُخْبِرَتِي كيفَ استقرّتْ بكِ النّوَى على أنّ عندي ما يزيدُ على الخبر
وما فعلتْ تلك المحاسنُ في الثّرى فقد ساءَ ظنّي بينَ أدري ولا أدري
يهوّنُ وَجْدِي أن وَجْهَكِ زَهْرةٌ وأن ثَرَاها من دموعي على ذِكْرِ

والقصيدة بعموم أبياتها لم يكتفِ الشاعر فيها بالإيحاء بحالة الضعف الشديد الذي أصابه، بل عمد إلى ألفاظ (الثرى ـ الدموع ـ الحزن ـ عدم اللقاء ـ الجزع ـ الضعف عن الصبر ـ اللوعة ـ التأوّه ـ العلة ـ الجمر ـ الحسرة ـ قاصمة الظهر ـ أثقلني وزري) كلها تدلّ دلالة واضحة عن تصريحه بضعفه لفقد الزوجة المحبّة الصادقة، ذات المحاسن الجميلة، لاسيما كان قد عهد منها الحب، وعاشت هي في كنفه النعيم. فقصيدته كانت سلسلة من حلقات الضعف، صوّر فيها الشاعر معاناته وألمه وحسرته على فقد أعز إنسان عنده . أما الرصافي البلنسي (ت: ٥٧٢هـ) فهو يبكي لفقد محبوبه (يوسف) حتى أن فؤاده أصبح مثلّماً كسيف يوسف،ومقلته حمراء كأنما مجروحة تخرج منهاالدماء(٤١):(من الخفيف)

لا تَسَل بَعدَ قَتلِ يوسُفَ عَنّي فَفُؤادي مُثَلَّمٌ كَسِلاحِهْ
لَو تَأَمَّلتَ مُقلَتي يَومَ أَودى خِلتَني باكِياً بِبَعضِ جِراحِهْ

إنّ دموعه كانت رفيقة ضعفه، وربما كانت لا تعينه على تحمّل فقده لمحبوبه، فقد وصل به الزخم النفسي إلى درجة مبالغته بأنه يبكي ببعض جراح محبوبه، وهذه المبالغة تدل على استسلامه لضعفه، وإلّا لما تحوّلت الدموع إلى دماء، ولما تثلّم القلب كالسيف، وفي هذه التشبيهات دلالة على توظيفه أشد صور الضعف عنده.

وكذلك نجد الضعف يأتي من خلال ما يتعرّض له المحبوب من أذى، فابن سهل اليكي[٤٢] (ت: ٥٥٦ هـ) يتألم كثيراً عندما يشمت به الأعداء، وهم ينظرون إلى حبيبه يُصلب فوق جذع من الجذوع وهو عارٍ[٤٣]: (من الخفيف)

ساءَني أَن يَرى العَدُوُّ الحَبيبا فَوقَ جِذعٍ مِنَ الجُذوعِ صَليبا
أَشعَثٌ باسِطٌ ذِراعَيهِ كَرهاً مِثلَ مَن شَقَّ لِلسُّرورِ جُيوبا
عارِياً مِن ثِيابِهِ يَتَلَقّى شِدَّةَ القُرِّ وَالصَّبا وَالجَنوبا

والغربة والحنين إلى الأوطان، كانت من أهم الأسباب التي أدّت إلى ضعف الشاعر الأندلسي، وهي غريزة في الإنسان، فقد قيل لأعرابي: أ تشتاق إلى وطنك؟ قال: (كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها) [٤٤] .

فلا دار لابن شرف القيرواني في ديار الغربة، ولا أرض له في أرضهم، فالدار دارهم، والأرض أرضهم، لذا أُجبر على أن يرضيهم ويداريهم، وما أجبره على ذلك إلّا ضعفه، يقول[٤٥]: (من السريع)

وَإِن تَرِمكَ الغُربَةُ في مَعشَرٍ قَد جُبِلَ الطَبعُ عَلى بُغضِهِم
فَدارِهِم ما دُمتَ في دارِهِم وَأَرضِهِم ما دُمتَ في أَرضِهِم

وحينما يقطع ابن خفاجة أمل العودة إلى الوطن، فإنه يشعر بعدم الاستقرار والأمان، فطرف عينه ملآن بالدموع، وقلبه إلى وطنه حنّان، وصبره قد نفذ، فكم هو يتمنّى أن يجتمع بأهله في وطنه[٤٦] : (من الطويل)

فَيا لِشَجا صدرٍ مِنَ الصَبرِ فـارِغٍ وَيا لِقَذى طَرفٍ مِنَ الدَمعِ مَلآنِ
وَنَفسٍ إِلى جَوِّ الكَنيسَـةِ صَبَّةٍ وَقَلبٍ إِلى أُفقِ الجَزيرَةِ حَنّـانِ
تَعَوَّضتُ مِن واهاً بِآهٍ وَمِن هَوىً بِهَونٍ وَمِن إِخوانِ صِدقٍ بِخَوّانِ[٤٧]

لقد ترددت ألفاظ الغربة عند ابن خفاجة، والتي أضعفته كثيراً، فقد جاءت تعج بالعواطف شوقاً وحنيناً إلى موطنه الذي لا يفارق ذاكرته. وابن بقي الأندلسي يشكو غربته واضطرابه، حتى أننا نشعر بضعفه من خلال نقمته الشديدة على أهل الأندلس، إذ وصفها من الصعب العيش فيها[٤٨]: (من البسيط)

قالوا تغربت عن أقطـار أندلس ومن يقيم على هـونٍ واقلال
مالي وايطانـها دارا وقد سئمت من المقام بها خيلي وأجمالي
نفضت فيها من العيش الهنيّ يدي وهل يعيش كريـم بين بخّال

وعندما تعرّض ابن سعيد الأندلسي(٤٩) إلى الضيق والمطاردة والإنتزاح، شعر بالضعف بعدما زاد اشتياقه إلى الجزيرة الخضراء، يقول(٥٠):

آه ممّا لقيت بعدك من هـ ـمّ وشـوقٍ وغربـةٍ وانتزاح
أين قومٌ ألفتهم فيك لمّـا قرّب الدهـر آذنـوا بالرّواح
تركوني أسير وجدٍ وشوقٍ ما لقلبي من الجوى من سراح
أسلموني للويل حتى تولوا وأصـاخوا ظلماً لقـول اللّواحي

ولم يبقَ عند البلّفيقي لا دمع ولا حزن؛ لأنه أفرغه على فراق الوطن(٥١): (من البسيط)

قالوا تغربتَ عن أهلٍ وعن وطنٍ فقلتُ لم يبقَ لي أهلٌ ولا وطنُ
مضى الأحبةُ والأهلونَ كلُّهم وليس بعدهم سكنى ولا سكـنُ
أفرغتُ حزني ودمعي بعدهم فأنا من بعد ذلك لا دمعٌ ولا حَـزَنُ

إن أشد الضياع يكون عندما يفقد الإنسان وطنه، ولشدة حزن البلّفيقي وألمه بعد تغرّبه، لجأ إلى البكاء وبذل الدموع، حتى وصلت به الحال إلى أن عجزت نفسه، وضعفت إرادته، فأصبحت عنده حالة من الاضطراب التي عاشها عند فقدانه وطنه. وابن الخطيب لا يريد أن يسألَه أحدٌ عن حاله المعذّب، وقلبه الممزّق بعد الرحيل، إذ يقول(٥٢): (من البسيط)

وَدَّعْتُ مِنْكَ فُـؤَادِي يَوْمَ تَرْحَـالِي فَلاَ تَسَلْ بَعْدَ ذَاكَ الْيَوْمِ عَنْ حَالِي
جَارَ الزَّمَانُ عَلَى ضَعْفِي وَأَرْخَصَ مَا قَدْ صُنْتُهُ قَبْلَهَا مِنْ دَمْعِيَ الْغَالِي

فولولا حب الشاعر لوطنه، وحزنه لفراقه ما تملّكه الضعف، ولا أطلق هذه الكلمات التي تدل على حسراته، وكأنه وجد الدمع خير صاحب يوفي به لوطنه. لقد تعرّضت الأندلس لنكبات كبيرة أثناء الحروب والفتن التي حلّت بها، والشعر لم يقف أمام مأساة الأندلس صامتاً، بل راح يسجّل تلك النهايات بكلمات دامية، وعبارات قاسية، كانت خير معبّرة عن الضعف الذي حلّ بالناس(٥٣).

فالنكبة التي حلّت بإلبيرة التي كانت من حواضر الأندلس الجميلة التي أسسها عبد الرحمن بن معاوية، وأسكنها مواليه، ثمّ خاطهم العرب بعد ذلك(٥٤)، جعلت أبا اسحاق الإلبيري يشعر بضعفٍ شديد منكراً على ما حلّ بها، مما أدى به إلى أن يرميَ سبب تلك النكبة على كثرة الذنوب، وترك الفروض والواجبات(٥٥): (من الطويل)

يُضَيَّعُ مَفروضٌ وَيُغفَلُ واجِبُ وَإِنّي عَلى أَهلِ الزَمانِ لَعاتِبُ
أَتُندَبُ أَطلالُ البِلادِ وَلا يُرى لِإِلبيرَةٍ مِنهُم عَلى الأَرضِ نادِبُ

كذلك نجد الضعف يجعل عبد الله بن العسّال (ت ٤٨٧ه) بعد نكبة بربشتر يرى أنه من الغلط المقام فيها؛ لأن الخسارة فيها أصبحت محسومة(٥٦): (من البسيط)

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

ويرى الدكتور منجد مصطفى بهجت، أنّ الشاعر العسّال كان فقيها زاهداً، وليس من صفات الزاهد أن يدعوَ إلى الإنهزامية يوم الزحف، وإنما جاء ذلك أسلوب في التعبير، ومبالغة في التنبيه والتذكير(٥٧). وأرى أن في هذه الأبيات نصيحة للإنهزام، وربما كان ذلك نصيحة من الشاعر حفاظاً على أرواح المسلمين، وقد يكون ما دفعه إلى ذلك أنه وجد خيانة من بعض القادة، أو من الذين هم داخل المدينة، بدليل أنه عبّر بصورة رائعة عن الجزيرة التي سقطت من الداخل (الوسط) ولم يأتِها العدو من الأطراف، أو كما يُنسل الثوب، ومعلومٌ أنّ سقوط الدول من الداخل لا يأتي إلّا عن طريق الخيانة وبيع الضمائر. ولا يمكن أن يُقال بأن الشاعر ـ ولاسيما إذا كان فقيها زاهداً ـ يشجّعُ على الإنسحاب، إلّا بعد الشعور بالضعف، ليس من العدو، بل إذا وجد أهل جلدته قد تخاذلوا وباعوا ضمائرهم، وإلّا فقد كان مبدؤهم (إما النصر، وإما الشهادة) . وقد تعرّض بعض الشعراء الأندلسيين للخوف من السلطان لأمر ما، مما جعلهم ضعفاء خاضعين لاستعطافهم، همّهم الوحيد أن يسلموا من بطشهم، وعبد الملك بن غُصْن الحجاري (٤٥٤هـ) كان واحدًا منهم، فقد شعر بضعف شديد، بعد أن رُميَ في السجن بعد هجائه للسلطان (ابن ذي النون) فأدى به ضعفه وهو داخل السجن إلى استشفاع السلطان والاعتراف بذنبه، فهو يتوسّل به؛ لأنه شعر بالموت داخل السجن(٥٨): (من الطويل)

فديتك هل لي منك رحمى لعلّني أفارق قبراً في الحياة فأنشرُ
وليس عقاب المذنبين بمنكرٍ ولكن دوام السخط والعتْب يُنكرُ

وإنّ ابن زيدون لطالما أصابه الضعف والقلق بعد حبسه، ولكنه زاده أكثر بعد أن هرب منه، فأخذ يستعطف السلطان آملاً في العفو(٥٩): (من الطويل)

فَرَرتُ فَإِن قالوا الفِرارَ إِرابَةٌ فَقَد فَرَّ موسى حينَ هَمَّ بِهِ القِبطُ(٦٠)
وَإِنّي لَراجٍ أَن تَعودَ كَبَدئِها لِيَ الشيمَةُ الزَهراءُ وَالخُلُقُ السَبطُ(٦١)
فَإِن يُسعِفِ المَولى فَنُعمى هَنيئَةٌ تُنَفِّسُ عَن نَفسٍ أَلَظَّ بِها ضَغطُ(٦٢)

وأما أبو بكر، محمد بن عمار (ت: ٤٧٧هـ) قال مستعطفاً المعتمد(٦٣): (من الطويل)

أما أنه لولا عوارفك التي جرَتْ فيّ جرْيَ الماء في الغُصن الرطْبِ
وإن نَفَحَتْني مِنْ سمائِك حرجَفٌ سأهتف يا برد النسيم على قلبي(٦٤)

كذلك كان أبو جعفر بن سعيد الأندلسي (ت: ٥٥٠هـ) واحداً من الذين عانوا الخوف من بطش السلطان، حتى إنه سئم العيش في حياة فيها سلطان متغضّب متغلّب مترتّب، يهيئ له المصاعب ليوقع به، ولا يستطيع أن يرضيه مهما حاول، لذا جعله يفكّر بالموت دائما، مما أدى به إلى الهرب، يقول(٦٥): (من الكامل)

فلقد سئمت من الحياة مع امرىء متغضّبٌ متغلّـــبٌ مترتّـبِ
الموت يلحـــظُني إذا لاحظـــته ويقوم في فكري أوان تجنّبي
لا اهـــتدي مع طـــول ما حاولته لرضاه في الدنيا ولا للمهرَبِ

ونجد الضعف قد تسلّل إلى السلاطين أنفسهم، فهذا المعتضد بن عبّاد (٤٦١هـ) هرب بسبب قسوة أبيه، فأخذ وهو هارب يكتبُ قصائده إلى أبيه، ويبيّن له أنه طائع له في السرّ، وفي الجهر، ولا يبتغي إلّا رضاه، ولكنه مع كل هذا لم يحظَ منه إلّا بالملامة والقسوة وعدم الرضا(٦٦): (من الطويل)

إلا يا ملـيكاً يرتـــجي ويـــهاب وبحرٌ له في المُـــكْرِماتِ عبابُ
ومولى عدتني مذ نشـــأت مكارم تصوب بـــها مـــن راتيه سحاب
أَطَعتُكَ في سِرّي وَجَهـــريَ جاهِداً فَلَم يَكُ لي إِلّا المتتلامَ ثَـــوابُ

وبهذا فقد تبيّن أنّ الشاعر الأندلسي مهما تمتّع بالقوّة، فلا بدّ من أن يتعرّضَ لأشياء تُضعفه، فقوّته جاءت من شبابه وملكه وجاهه وحياته في القصور بين الجواري وكثرة الخمور، وكذلك الانتصارات في المعارك، ولكن عندما حصل عكس ذلك، شعر بالضعف، فالكبر وتقدّم العمر والشيب، جعله يضعف أمام الموت، والفقر وذهاب الأموال، وفقد الأصحاب من الغلمان والزوجة والأبناء وكل عزيز، أشعره ذلك بضعف شديد، فضلاً عن دخول السجن، والهروب من بطش السلاطين، والهزيمة في المعارك، وكل ما أصاب الشعراء من فواجع الدهر، جعلهم ضعفاء.

الخاتمة :

ظهر في نهاية البحث أن الشاعر الأندلسي كان قد مرّ بظروف اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، ونفسية قاسية، وقد كان يصرُّ على ثباته وتحدّيه لهذه المصاعب والمحن، وهذا دليل على قوّته وثقته العالية بنفسه، لهذا وجدناه قد أحبَّ البقاء، إلّا إنه ثمة أمور أخرى أضعفته وجعلت اليأس يسيطر عليه، فشعر بقوّة الفناء.

فالقوّة قد جاءته من شبابه، وصحّة بدنه، وقوّة عقله، ويصاحب ذلك التمتّع بالملك والجاه والقصور التي جعلت الجواري يُقبلْنَ عليه، والحال ينطبق على كل من كان يتمتّع بدخول هذه الأماكن، فضلًا عن كثرة الانتصارات في الحروب كانت قد زادت من ثقة الإنسان بنفسه، وشعوره بالقوة.

ومع ذلك فالإنسان مهما توفّرت له أسباب القوة فإنّها لا تدوم أبداً، فالشّباب يجتاحه الشّيب، والمال يتلاشى ويذهب، ولاسيما عند استيلاء الأعداء على الأملاك، والصّحة يضعفها المرض، والانتصارات تليها الهزائم، والاجتماع بالأحبّة يتبعه الفراق، فإذا ما مرّ الإنسان بهكذا ظروف نجده ضعيفاً مستسلماً أمام ما يحدث .

الهوامش

(١) الفكر الإغريقي ـ محمد الخطيب ـ دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ـ ط٢، ٢٠٠٧، ص: ٧٨ .

(٢) تبسيط الفلسفة ـ د. رجب بو دبوس ـ الدار الجماهيرية للنشر ـ ليبيا ـ ط١، ١٩٩٦م، ص: ١٣ ـ ١٤.

(٣) لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٣، ١٤١٤ه، مادة: فنِيَ، ١٤/ ٧٩.

(٤) المصدر نفسه، مادة: فنِيَ، ١٥/ ١٦٤.

(٥) المصدر نفسه، ١٥/ ٢٠٧ .

(٦) سورة مريم، آية: ١٢.

(٧) لسان العرب، ١٥/ ٢٠٧ .

(٨) لسان العرب، ٩/ ٢٠٣ .

(٩) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ـ تأليف: الأستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٨م: ٢٤٢ .

(١٠) من أعلام الأندلس، أبو محمد، غانم بن الوليد القرشي المالقي (ت: ٤٧٠ه) أخباره وجمع آثاره ـ م.م عارف عبد الكريم مطرود ـ جامعة البصرة ـ كلية الآداب ـ مجلة مركز دراسات الكوفة ـ العراق ـ النجف الأشرف ـ الكوفة ـ العدد: الرابع عشر، ٢٠٠٩م: ١٨ .

(١١) دُنْبٌ، فارِسِيَّةٌ، اسْتُعْمِلَ مَعْنَاهُ الذَّنْبُ. (تاج العروس، دنب، ٢/ ٤١١)

(١٢) ديوان الأعمى التطيلي:٢١١ ـ٢١٢ .

(١٣) الزراجين: جمع زرجون، و والزَّرَجون: الخَمْرُ. قَالَ السِّيرَافِيُّ: هُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، شُبِّهَ لَوْنُهَا بِلَوْنِ الذَّهَبِ لأَن زَرْ بِالْفَارِسِيَّةِ الذَّهَبُ، وجُون اللَّون. (يُنظر: لسان العرب، مادة: زرجن، ١٣/ ١٩٦).

دَارِينَ: مَوْضِعٌ فِي الْبَحْرِ يُؤْتَى مِنْهُ بِالطِّيبِ؛ ومنه كَلَامِ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: كأَنه قِلْعٌ دَارِيٌّ.(لسان العرب،٤/ ٣٠٠).

(١٤) غنج: امرأَة غَنِجَة: حسَنة الدَّلّ. (لسان العرب، مادة : غنج ، ٢/ ٣٣٧) . ذو الفقار: سيف علي بن أبي طالب. (يُنظر: تاج العروس (ف ق ر) ١٣/ ٣٤٢ .

(١٥) شنب: الشَّنَبُ: ماءٌ ورِقَّةٌ يَجْرِي عَلَى الثَّغْرِ؛ وَقِيلَ: رِقَّةٌ وبَرْدٌ وعُذُوبةٌ فِي الأَسنان . (لسان العرب: ١/ ٥٠٦) . البَرَدُ: مَطَرٌ جَامِدٌ،والبَرَدُ: حبُّ الْغَمَامِ (لسان العرب، ٣/ ٨٥) . بارق: ماء (تاج العروس ٢٥/ ٧٣)

(١٦) ديوان ابن حمديس: ١٩٧ .

(١٧) ديوان ابن خفاجة: ٣٤٦ .

(١٨) من ديوان الشعر العربي، ديوان صفوان التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس (٥٦١ ـ ٥٥٩٨ه) جمع وتحقيق ودراسة: د. حمد سالمان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م: ١٧٥.

(١٩) شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر) رسالة ماجستير ـ الطالبة: رانية أحمد إبراهيم ـ جامعة النجاح الوطنية ـ كلية الدراسات العليا ـ نابلس ـ فلسطين ـ ٢٠٠٧ ، ص: ٨٧ .

(٢٠) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٤٦٨ .

(٢١) ديوان ابن بقي الأندلسي ـ جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور محمد مجيد السعيد ـ دار كوثا للتأليف والترجمة والنشر ـ دمشق ـ الطبعة الأولى، ١٩٩٧م: ١٣٣ .

(٢٢) ديوان أبي العباس الجراوي: ٦٣ .

(٢٣) ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ١/ ٢١٩ .

(٢٤) ديوان ابن زمرك: ٤٨٥ .

(٢٥) ديوان المعتمد بن عباد: ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٦) المصدر نفسه: ٩٦ .

(٢٧) ديوان ابن خفاجة: ٢٧٨ .

(٢٨) ديوان أبي إسحاق الالبيري: ٣١.

(٢٩) المصدر نفسه: ٣٦ .

(٣٠) شعر ابن السيّد البَطَلْيوسي (٤٤٤ ـ ٥٢١ ه) جمع وتوثيق ودراسة: د. رجب عبد الجواد إبراهيم ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة، ٢٠٠٧، ص: ٥٨ ، ٥٩ .

(٣١) تحفة القادم لابن الأبار القضاعي البلنسي: ١٠٠ .

(٣٢) شعر أبي البركات ابن الحاج البَلَّفيقي: ٧٧ .

(٣٣) ديوان أبي اسحاق الإلبيري: ٨١ .

(٣٤) من أعلام الأندلس، أبو محمد غانم بن الوليد القرشي المالقي: ٢٣ .
(٣٥) ديوان ابن خفاجة: ٢٧٥ .
(٣٦) مجاني الأدب في حدائق العرب، تأليف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت: ١٣٤٦هـ) نشر: مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ـ ١٩١٣، ٥/ ٢٩١ .
(٣٧) شعر أبي البركات ابن الحاج البلّفيقي: ٥٠ ، ٥١ .
(٣٨) من أعلام الأندلس، غانم بن الوليد القرشي المالقي: ٢٢ .
(٣٩) ديوان ابن اللبانة الداني: ٩٠ .
(٤٠) ديوان الأعمى التطيلي: ٧٠ ـ ٧٣ .
(٤١) ديوان الرصافي البلنسي، أبي عبد الله محمد بن غالب (ت: ٥٥٧٢) جمعه وقدم له: الدكتور إحسان عباس ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ط٢ ، ١٩٨٣: ٥٢ ـ ٥٣ .
(٤٢) يحي بن عبد الجليل بن سهل اليكّي أبو بكر. شاعر هجاء متصرف في المعاني ينعت بهجاء المغرب وهو من أهل يكة أحد حصون مرسية في المغرب، كان كثير الهجاء للمرابطين وأميرهم علي بن يوسف بن تاشفين. سماه أكثر مترجميه يحي بن سهل نسبته إلى جده .(يُنظر: الأعلام ـ تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) نشر: دار العلم للملايين ـ الطبعة: الخامسة عشر ـ ٢٠٠٢ م ، ٨/ ١٥٢) .
(٤٣) المغرب في حلى المغرب ـ تأليف: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: د. شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٣، ١٩٥٥ ، ص: ٢/ ٢٦٩.
(٤٤) البصائر والذخائر ـ تأليف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ) تحقيق: د. وداد القاضي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ٨/ ١١٧ .
و ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ـ تأليف: جار الله الزمخشري (ت: ٥٨٣ هـ) مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ط١، ١٤١٢ هـ ، ٣/ ٦٤ .
(٤٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ٧/ ١٧٢.
(٤٦) ديوان ابن خفاجة: ٣٤٥ .
(٤٧) واهاً: للشكاية والتوجّع . (ينظر: تاج العروس، أ و ه ، ٣٦/ ٣٣٠) . وواهَ: تَلَهُّفٌ وتَلَوُّذٌ، وَقِيلَ: اسْتِطَابَةٌ، ويُنَوَّنُ فَيُقَالُ: وَاهًا لفلانٍ. (لسان العرب: ١٣/ ٥٦٣)
(٤٨) ديوان ابن بقي الأندلسي: ٨٤ .
(٤٩) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد، العنسيّ المدلجي، أبو الحسن، نور الدين، من ذرية عمار بن ياسر (٦١٠ - ٦٨٥ هـ) . (الأعلام للزركلي، ٥/ ٢٦)
(٥٠) نفح الطيب، ٢/ ٣٠٨ .
(٥١) شعر أبي البركات ابن الحاج البلّفيقي: ٨٠ .
(٥٢) ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ٣١٥/١ .
(٥٣) شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر) : ٩٦ .

(٥٤) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ ـ ٨٩٧هـ) تأليف: الدكتور منجد مصطفى بهجت ـ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ـ الموصل ـ العراق ـ ١٩٨٨م : ٣٠٨ .

(٥٥) ديوان أبي اسحاق الإلبيري: ٨٥ .

(٥٦) نفح الطيب، ٤/ ٣٥٢ .

(٥٧) يُنظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة،: ٣١٥ .

(٥٨) نفح الطيب، ٣/ ٤٢٤ .

(٥٩) ديوان ابن زيدون ورسائله : ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٦٠) أَرَابَ الأَمْرُ: صَارَ ذَا رَيْبٍ وِرِيبَةٍ، فَهُوَ مُرِيبٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى الشَّكِّ مَعَ التُّهْمَةِ . (يُنظر: تاج العروس، ٢/ ٥٤٨) . القبط : أهل مصر في زمن موسى. (يُنظر: لسان العرب، ٧/ ٣٧٣) .

(٦١) السبط: رَجُلٌ سَبْطٌ بالمَعْروف: سَهْلٌ . (لسان العرب، ٧/ ٣٠٨)

(٦٢) لَظَّ بِهِ، إذا لَزِمَهُ ولَمْ يُفَارِقْهُ . (تاج العروس، ٢٠/ ٢٧١)

(٦٣) محمد بن عمار الأندلسي، دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تأريخ دولة بني عباد في أشبيلية ـ تأليف الدكتور: صلاح خالص ـ مطبعة الهدى ـ بغداد، ١٩٥٧م: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٦٤) حرجف: الحَرْجَفُ: الرِّيحُ الباردةُ . (لسان العرب، ٩/ ٤٥)

(٦٥) ديوان أبي جعفر، أحمد بن سعيد ـ جمع وتحقيق: الدكتور أحمد حاجم الربيعي ـ دار غيداء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ٢٠١٤م: ٦٤ .

(٦٦) ديوان المعتضد بن عباد (ت: ٤٦١ هـ) تحقيق: الدكتور محمد مجيد السعيد ـ مجلة المورد ـ المجلد الخامس ـ العدد الثاني ـ ١٩٧٦م ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد : ١٠٩ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ ـ ٨٩٧هـ) تأليف: الدكتور منجد مصطفى بهجت ـ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ـ الموصل ـ العراق ـ ١٩٨٨م.
- الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ـ دار العلم للملايين ـ ط ١٥، ٢٠٠٢.
- البصائر والذخائر ـ تأليف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ) تحقيق: د. وداد القاضي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين ـ دار الهداية. (د . ت)
- تبسيط الفلسفة ـ د. رجب بو دبوس ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ـ ليبيا ـ ط١، ١٩٩٦م
- تحفة القادم ـ تأليف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) ـ أعاد بناءه وعلّق عليه: الدكتور إحسان عباس ـ نشر : دار الغرب الإسلامي ـ ط١،هـ - ١٩٨٦ م .

- ديوان ابن اللبانة الداني (مجموع شعره) ـ جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور: محمد مجيد السعيد ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ ط٢، ٢٠٠٨م.
- ديوان ابن بقي الأندلسي ـ جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور محمد مجيد السعيد ـ دار كوثا للتأليف والترجمة والنشر ـ دمشق ـ الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- ديوان ابن حمديس ـ تحقيق: د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان، ١٩٦٠م.
- ديوان ابن خفاجة ـ تحقيق الدكتور: سيد غازي ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية ـ ط٢، ١٩٧٩م.
- ديوان ابن زمرك الأندلسي (محمد بن يوسف الصريحي) حقّقه، وقدّم له، ووضع فهارسه الدكتور: محمد توفيق النّيفر ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١، ١٩٩٧م.
- ديوان ابن زيدون ورسائله ـ شرح وتحقيق: علي عبد العظيم ـ نهضة مصر للطباعة والنشر (د . ت)

- ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي (ت: ٤٦٠ ه) حققه وشرحه واستدرك فائته الدكتور: محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان / دار الفكر ـ دمشق ـ سورية ـ ط١، ١٩٩١م.
- ديوان أبي العباس الجراوي (ت: ٦٠٩ ه) صنعة الدكتور: علي إبراهيم كردي ـ دار سعد الدين ـ دمشق ـ ط١، ١٩٩٤م.
- ديوان أبي جعفر، أحمد بن سعيد ـ جمع وتحقيق: الدكتور أحمد حاجم الربيعي ـ دار غيداء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ٢٠١٤م.
- ديوان الأعمى التطيلي (ت: ٥٢٥ ه) ومجموعة من موشحاته ـ تحقيق الدكتور: إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان. (د . ت)

- ديوان الرصافي البلنسي، أبي عبد الله محمد بن غالب (ت: ٥٥٧ ه) جمعه وقدم له: الدكتور إحسان عباس ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ط٢ ، ١٩٨٣.
- ديوان المعتضد بن عباد (ت: ٤٦١ ه) تحقيق: الدكتور محمد مجيد السعيد ـ مجلة المورد ـ المجلد الخامس ـ العدد الثاني ـ ١٩٧٦م ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد.
- ديوان المعتمد بن عباد ـ جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة، ط٥، ٢٠٠٩م.
- ديوان لسان الدين ابن الخطيب السلماني ـ صنعه وحققه وقدّم له الدكتور: محمد مفتاح ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ ط١، ١٩٨٩م.
- ديوان لسان الدين ابن الخطيب السلماني ـ صنعه وحققه وقدّم له الدكتور: محمد مفتاح ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ ط١، ١٩٨٩م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ تأليف: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: إحسان عباس ـ نشر: الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس، ١٩٧٩.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ـ تأليف: جار الله الزمخشري (ت: ٥٨٣ هـ) مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ط١، ١٤١٢ هـ.
- شعر ابن السيّد البَطَلْيوسي (٤٤٤ ـ ٥٢١ ه) جمع وتوثيق ودراسة: د. رجب عبد الجواد إبراهيم ـ راجعه وقدّم له: أ. د. محمود علي مكي ـ نشر: مكتبة الآداب ـ القاهرة، ٢٠٠٧.
- شعر أبي البركات ابن الحاج البلّفيقي (٦٨٠ ـ ٧٧١ه) بعناية: عبد الحميد عبد الله الهرامة ـ مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي ـ الإمارات ـ ط١، ١٩٩٦م.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ـ تأليف: أ. د. محمد مجيد السعيد ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٨.
- الفكر الإغريقي ـ محمد الخطيب ـ دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ـ ط٢، ٢٠٠٧.
- مجاني الأدب في حدائق العرب، تأليف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت: ١٣٤٦هـ) نشر: مطبعة الآباء اليسوعيين ـبيروت. (د . ت)
- محمد بن عمار الأندلسي، دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تأريخ دولة بني عباد في أشبيلية ـ تأليف الدكتور: صلاح خالص ـ مطبعة الهدى ـ بغداد، ١٩٥٧م.
- المغرب في حلى المغرب ـ تأليف: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: د. شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٣، ١٩٥٥.
- من ديوان الشعر العربي، ديوان صفوان التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس (٥٦١ ـ ٥٥٩٨ه) جمع وتحقيق ودراسة: د. حمد سالمان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقري التلمساني (ت: ١٠٤١ ه) تحقيق: إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

البحوث والمجلات:

- من أعلام الأندلس، أبو محمد، غانم بن الوليد القرشي المالقي (ت: ٤٧٠ه) أخباره وجمع آثاره ـ م.م عارف عبد الكريم مطرود ـ جامعة البصرة ـ كلية الآداب ـ مجلة مركز دراسات الكوفة ـ العراق ـ النجف الأشرف ـ الكوفة ـ العدد: الرابع عشر، ٢٠٠٩.

الرسائل والأطاريح :

- شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر) رسالة ماجستير ـ الطالبة: رانية أحمد إبراهيم ـ جامعة النجاح الوطنية ـ كلية الدراسات العليا ـ نابلس ـ فلسطين ـ ٢٠٠٧.